

محاضرة رقم: 11	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	التاريخ
المادة	بلاد عربية قديمة
اسم المادة باللغة الانكليزية	Ancient Arab countries
المرحلة	الثانية
السنة الدراسية	2021-2020
الفصل الدراسي	الاول
المحاضر	أ.م.د. انمار نزار الحديثي
عنوان المحاضرة باللغة العربية	الدولة والمجتمع
عنوان المحاضرة باللغة الانكليزية	State and society
المراجع والمصادر	طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديم- حضارة وادي النيل
	عامر سليمان واحمد مالك الفتیان، محاضرات في التاريخ القديم

المحتوى...

ولم يقتصر نفوذ الكهنة في طيبة وتدخلهم في الشؤون السياسية الداخلية على الحكومة الوطنية فحسب , بل تعدى ذلك الى حكومات الاستعمار الاجنبي اذ كانت السلالات الاجنبية الحاكمة خاضعه كل الخضوع لنفوذ هؤلاء الكهنة وتدخلاتهم كذلك , كان نفوذ كهنة طيبة في عهد السلالة السادسة والعشرين التي حاولت عبثاً التخلص من تدخلاتهم وسيطرتهم , وكما ساهمت الملكية مساهمة كبيرة في تكوين الحضارة في وادي النيل ,وكذلك ساهمت طبقات المجتمع المصري القديم في تقدم ارض الفراعنة من النواحي الثقافية والعمرانية والاجتماعية وفي مقدمة هذه الطبقات الاشراف او النبلاء والكهنة , وقد برزت هاتان الطبقتان وظهر اثرهما بوضوح في نهاية الدولة القديمة وبدأت المعركة من اجل النفوذ ظهرت الملكية , ولا سيما في زمن السلالة الملكية السادسة , اذ اخذت الدولة تتحول من حكومة موظفين مرتبطين بالعاصمة وبالمك غالى حكومات وولايات ومقاطعات كثيرة اشبه شيء بحكومات اللزما او بالاحرى ولايات اللزما في العهد العثماني , اذ كان الملك يقطع المقاطعة لمن يشاء من النبلاء واقربائه , ويوكل اليه امر اختيار الموظفين وادارة الولاية وذلك لقاء كمية معينة من المال تدفع له سنوياً او مقابل اعادة النظام والهدوء فيها , وكانت هذه الحكومات المحلية كثيراً ما توضع في المزاد بنفس الطريقة التي كان الباب العالي

العثماني يتبعها في اسناد الولايات , وقد تجزأت البلاد في نهاية السلالة السادسة الى عدد من الامارات شبة المستقلة ولكنها وراثية , ولم تعد تستعمل طريقة التدوين بالنسبة الى سنين حكم الملك بل بالنسبة لسني حكمهم , وصار هؤلاء الامراء ملوكاً ولكنهم صغاراً في مقاطعاتهم الصغيرة لديهم جيشهم وجنودهم المرتزقة , وكان اغلبهم من النوبيين وقبائل البيجو كذلك كانوا يحتلون منصب الكاهن الاعلى لإلهة دويلاتهم ويشرفون على ادارة هذه الالهة وكانوا يستحذون على ثروات طائلة , وكثيراً ما تكون اراضي المقاطعة وما فيها من حيوانات ملكاً لهم وسكانها يشتغلون لهم عبيداً , فقد ذكرت احدى الوثائق العائدة الى امير مقاطعة سيوط (اسيوط) وكان اسمه زفائي حابي , عاش في زمن السلالة الثانية عشر , انه كان يجمع الاموال الضخمة من مقاطعته , وان سكانها كانوا يدفعون له الضرائب الكثيرة على انفسهم (ضريبة الرأس) وحيواناتهم يعد المقاطعة وما فيها ملكاً لهذا الملك , فله مثلاً ان يطلب بفخذ من كل ثور يذبح ضحية في المقابر على ارواح الموتى , وان تقدم له نسبة معينة من جميع الاغنام ولأبقار والحيوانات الاخرى بصفته الكاهن الاعلى للمعبد.

ولهذا الامير او الملك ممتلكات خاصة به , بالإضافة ما يأخذه من الناس كفريضة يجب اداؤها اليه , والى ما يرده من املاك بصفته الكاهن الاعلى لأله المقاطعة , وتعرف هذه الممتلكات الخاصة بأسم الاموال ابين اي اموال اله الملك.

وكثيراً ما تتسع ممتلكات امراء هذه المقاطعات فتقوى شوكتهم ويشمل سلطانهم مناطق اوسع تضاف الى مقاطعته الصغيرة فيصبح شخصية مهمة في تاريخ البلاد منذ قيام هؤلاء الامراء بمساعدة امير ما من بينهم او شخص ما من العائلة المالكة ليبسط نفوذه على بلاد وادي النيل وتوحيدها تحت عرش واحد , اذا ما تم ما اراد اخذ يكافئ هؤلاء الامراء الاقطاعيين الذين ساندوه بمنهم مقاطعات جديدة من تلك التي سلبها من الاعداء .

فمن ذلك ما حدث لأمرء مقاطعة طيبة الذين اسسوا الدولة المتوسطة , فقد وعدوا عدداً من الامراء الذين تحالفوا معهم لمحاربة امراء مدينة هيركليوبولس مقاطعات جديدة ووفوا بمعهدهم , وكذلك فعل مؤسسو السلالة الثانية عشر , عندما توفقوا في تقويض السلالة الملكية الحادية عشر . وتشير التماثيل العديدة لأمرء هذا الدور ومقابرهم وابنيتهم ومعابدهم الى اعظم فترة ازدهار لقيتها هذه الامرات في تاريخ وادي النيل , كانت في زمن السلالة الثانية عشر , كذلك تقوى سلطانهم لدرجة انهم اصبحوا خطراً مهدداً وان هذه السلالة التي كانت تسعى إلى تأسيس ملكية مستقلة في جميع البلاد وان لا بد من القضاء عليهم أو

الحد من سلطانهم فأخلقت طبقة ثالثة في المجتمع هي الطبقة العامة , أو طبقة المواطنين بما فيهم طبقة اصحاب الملكية الصغيرة الدخل المحدود , واخذت تعمل على تقويتها في عواصم المقاطعات والمدن اذ اصبحت هذه الطبقة قوية لدرجة انها حدث من سلطان امراء المقاطعات وطبقة النبلاء والاشراف التي صارت مع الزمن تحت رحمتها وتتملق رضاها كما يتبين بوضوح من الكتابات المنقوشة على قبور هؤلاء الامراء , وبذلك استطاعت الملكية في بلاد وادي النيل من مكافحة هذه الطبقة واخضاعها عن طريق الطبقة العامة التي خلفتها وقوتها , وتمكنت بواسطتها من تأسيس دولة وطنية حققت وحدة بلاد النيل تحت ظل ملكية مستقلة في نهاية السلالة الثانية عشر ,وأدت الى مجيء السلالة الثالثة عشر .

ان اهم مصدر تاريخي لدينا عن حالة هذه الامارة في زمن السلالة الثانية عشر هي الكتابات الكثيرة التي دونها الامير الاقطاعي خم حوتب والتي عثر عليها في بني حسن وتتحدث عن الاحداث الاجتماعية والسياسية التي مرت على البلاد خلال قرن كامل , ولاسيما تدخل الملك في الاطيان والممتلكات التي بحوزة هذا الامير والحد من ملكيته وتوزيعها على الفلاحين , كذلك تتحدث هذه الكتابات عن النفوذ السياسي الذي كانت تتمتع به هذه الامارات وتدخلهم القوي في شؤون الدولة ومزاحمتهم لسلطة الملك .

وقد فقدت شوكة الطبقة العامة وبدأت بدورها تناوئ الملكية واصبحت خطراً مهدداً لكيانها , فمهدت الطريق لمجيء السلالة الثالثة عشرة وبالتالي لحكم الهكسوس الذين اغتتموا فرصة قيام الثورات الداخلية والاضطرابات التي سادت البلاد وضعضعت كيان الدولة وفرقت بين اجزاء الوطن .

وفي بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد عندما بدأ امراء طيبة في تأسيس الامبراطورية المصرية , كانت اوضاع الطبقة القديمة في المجتمع المصري قد تغير واتخذت الدولة سبيلاً في نظام الحياة يستند على اسس جديدة من جعلتها نظام الحكم الملكي الذي فرض على طبقة النبلاء , وفسح المجال لظهور طبقة مترفة جديدة هي طبقة الموظفين , وطبقة اخرى منظمة مطيعة هي طبقة الجيش , وأزداد بالطبع نفوذ الكهنة , اما الطبقة العامة فلم تعد تلعب دوراً مهماً اختفت من مسرح السياسة في البلاد واخذت تظهر مكانها طبقة جديده هي طبقة الدهماء (طبقة البروليتاريا) , والتي برزت بوضوح في اواخر الدولة الحديثة وينتمي اليها فئة الفقراء والعمال , وهاتان الطبقتان اي طبقة الفقراء والعمال أو طبقة الدهماء تقومان بخدمة الدولة والالهة , ويكون المشرفون عليهم من بينهم , وهناك اعداد كبيرة من لفائف البردي العائدة الى اواخر الدولة الحديثة تصور البؤس والفاقة والغلاء الفاحش التي كانت تنن تحتها طبقة الدهماء هذه , فقد قلت الارزاق وساء الوضع الاقتصادي في البلاد بسبب هجوم القبائل الغربية المتمردة

ونهبها الامتعة والحاصلان واحتكار الهنة الاموال والاطعمة التي كانت ترد المعابد فارتفعت اسعار الحبوب ارتفاعاً خيالياً وعمت المجاعة في البلاد , وذلك في اواسط عهد السلالة العشرين , فتوقفت عمليات دفع اجور العمال التي كانت من مواد الاطعمة كالسمك والبقول والحبوب والبيرة والخشب والوقود , فهاج العمال وماجوا واعلنوا الاضراب فاضرب الموظفون الذين كانوا السبب في هذه الفوضى بما كانوا يتصفون به من التفسخ المتفشي بينهم الى دفع اجور هؤلاء العمال, ثم تستطرد لفائف البردي في وصف اخلاق هذه الطبقة فنقول انها منحطة خلقياً, وتقوم بأعمال السرقة والاعتصاب وقطع الطريق وتأتي الفحشاء والمنكر.

وقد قدمت لنا لفائف البردي ادق المعلومات واقدمها عن قوائم بأسماء العبيد ورجال السخرة وآبائهم في السلطات لهم بالاشتغال وبأسماء المدن التي نشأوا فيها واختصاص كل منهم . والواقع ان هذه المصادر التاريخية التي وجدها العلماء في التدوينات على لفائف البردي بمعلومات عن حياة العائلة وتكوينها , فقد كان تعدد الزوجات معروفاً في بلاد وادي النيل لا يخضع لقانون معين , وبالطبع فان تعدد الزوجات لا يعتمد بالدرجة الاولى على وضع الرجل المالي , ولذلك فأنا نجد منتشراً عند الطبقات الثرية , وكثيراً ما كان الملك يتزوج بضع عشرة من النساء كما فعل رعمسيس الثاني , واكن تعدد الزوجات كان يؤدي الى نشوب الخلافات والفوضى في العائلة وحبك الدسائس والمؤامرات , ولا سيما ضد الملك الذي كان يذهب في اغلب الاحيان ضحية دسائس زوجاته الكثيرة , ومع ان تعدد الزوجات كان شائعاً في المجتمع المصري القديم إلا أنه كان هناك زوجة واحدة من بين هذه الزوجات الكثيرات تعد سيدة البيت والوالدة الشرعية , وكان زواج الاخت امراً محبباً وقد انبعث عن هذه العادة اطلاق كلمة اخت على الزوجة والحبيبة , ويتم الزواج بعقد خطي باتفاق الطرفين , فقد ودت عقود زواج كثيرة من جميع المراحل التاريخية تصف مراسيم الزواج والافراح التي تقام في ليلة الزفاف , كما تشير الى تحديد العمر , اذ كان اصغر حد لسن الزواج للفتاة محدداً بسن الثاني عشرة وللقتى بسن الثامنة عشرة.

